توظيف العناصر المعمارية التقليدية في العمارة المعاصرة

د. جورج محفوض [*]

يارا عدره [**]

(تاريخ الإيداع 30 / 1 / 2020. قُبِل للنشر في 23/ 7 / 2020)

□ ملخّص □

أصبح الحفاظ على الموروث الثقافي وحمايته موضع اهتمام عالمي، لكونه من المقومات الحضارية والتاريخية الأساسية لأي أمة، حيث تلعب الحرف التقليدية ومنتجاتها دوراً رئيسياً في اغناء الموروث الثقافي للأمم، ومع التقدم العلمي والصناعي أصبح لابد من التأكيد على الهوية وذلك من خلال الاهتمام بالصناعات الحرفية وتطويرها وتوظيفها في العمارة الحديثة مما يساهم في تطوير منتجاتها شكلاً ومضموناً، ويسهم بالتالي في الحفاظ على الهوية البصرية. لقد تميزت العمارة العربية التقليدية عامة بثرائها بالعناصر المعمارية والزخرفية المصنعة يدوياً والناتجة عن خبرات معرفية وتجارب انسانية مكثفة تحقيقاً للمتطلبات البيئية والاجتماعية في عصرها.

يسعى هذا البحث إلى الإضاءة السريعة على إحدى المفردات المميّزة للعمارة التقليدية، وهو عنصر المشربية، وإبراز دورها في تشكيل الهوية العمرانية، ويركز البحث بشكل خاص على المظاهر الحديثة لاستخدام مفهوم هذا العنصر المعماري التقليدي في العمارة المعاصرة مما يحقق الربط بين الأصالة والمعاصرة، كما يحاول البحث ان يرصد كيف تم توظيفها والاستفادة منها عالمياً في العمارة. ولقد تبين من خلال البحث كيف دفعت الخامات الحديثة والابتكارات التقنية والإمكانات المادية وتراكم الخبرات الجمالية والتشكيلية والتصميمية إلى تطوير هذا العنصر تطويراً كبيراً، وذلك لما للمشربية من قيمة ثقافية اولاً ووظيفية وجمالية ثانياً.

الكلمات المفتاحية: المشربية التقليدية، الموروث الثقافي، العمارة التقليدية، العمارة المعاصرة، العمارة الداخلية المعاصرة

[*] **أستاذ – قسم العمارة الداخلية – كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق– دمشق– سورية.**

[**] **طالبة ماجستير – قسم العمارة الداخلية – كلية الفنون الجميلة– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**

The Employing of Traditional Architectural Elements in Contemporary Architecture

Dr. George Mahfod[*]
Yara Adra[**]

(Received 30 / 1 / 2020. Accepted 23 / 7 / 2020)

□ ABSTRACT □

The preservation of cultural heritage has become a global concern, as it is one of the essential elements to expose the civilizational and historical depth of any nation, Traditional handicrafts and its products play a major role in enriching the cultural heritage of nations. With the scientific and industrial development, it is necessary to emphasize the identity through the interest in handicrafts, development and employment in modern architecture, which contributes to the development of its products form and content, thus maintaining of visual identity. Traditional Arab architecture was generally characterized by its richness of hand-crafted architectural and decorative elements resulting from extensive knowledge and human experiences, to achieve environmental and social requirements of its time.
This research aimed to focus on one of the traditional architectural features, which is the Mashrabiya, and to highlight its role in shaping the urban identity. the research also focuses particularly on modern methods of using the concept of this traditional architectural element in contemporary architecture, which achieves the link between originality and contemporary, and it tries to monitor how it has been globally employed and utilized in architecture, also shows how modern materials, technical innovations, material possibilities and the accumulation of aesthetic, plastic and design experiences led to the development of this element, because of the cultural, functional and aesthetic value of the Mashrabiya.

Keywords: Traditional mashrabiya, Cultural heritage, Traditional architecture, contemporary architecture, contemporary interior architecture

[*] **Professor, Department of Interior Design- Faculty of Fine Arts- Damascus University- Damascus- Syria.**

[**] **Postgraduate Student (Master), Department of Interior Design- Faculty of Fine Arts- Tishreen University- Lattakia- Syria.**

مقدمة:

إن مهمة الحفاظ على الموروث الثقافي والحرف اليدوية يعد موضوعاً مهماً جدا في الثقافة المعاصرة خاصةً في ضوء المتغيرات المتسارعة التي تهدد بزوال الإرث المعماري الحضاري لكثير من دول العالم. إن إحياء الصناعات والحرف اليدوية يتطلب دراسة المنظور الثقافي والتراثي والاقتصادي لهذه الحرف وإظهار جماليتها وقيمها، وعلاقة هذه الحرف بالعادات والتقاليد في مجتمعاتها، وتتزايد الدعوات لإعادة استخدام المنتجات اليدوية كحاجة حياتية خصوصاً في المجال السياحي لزيادة الدخل الوطني للدول، حيث تُعتبر الصناعات والحرف اليدوية من أهم مقومات الجذب السياحي والذي يؤدي بدوره إلى تحريك قطاع اليد العاملة. **[1]**

إن دور الحرف والمصنوعات اليدوية في مجال العمارة والعمران يظهر ويتعزز بشكل كبير نظراً لأهمية وظائفها الجمالية و تصاميمها النفعية، ويتمثل ذلك في فن البناء ابتداءً من تجهيز وتشكيل الحجارة، مروراً بأعمال التشييد، وأعمال النجارة، وانتهاءً بأعمال الزخرفة، وانطلاقاً من اعتبار المصمم فرد من المجتمع منغمس فيه ومتشبع بمعتقداته وأفكاره لذا فإن رؤيته الفنية والجمالية تنبع مما يحيط به، ويتجلى ذلك في جميع المفاهيم الجمالية في العمارة التقليدية عامةً والاسلامية خاصة، حيث تعتبر المشربية إحدى النماذج الأصيلة التي تُطبَق فيها خصائص العمارة التقليدية وفلسفتها الجمالية والوظيفية، فهي قد صُممت لمعالجة الظروف المناخية القاسية ولحماية الواجهات والفراغات الداخلية من العوامل المناخية، والحفاظ على الخصوصية. " وقد حاول الحرفي والمعمار عبر العصور أن يخرج هاتين الوظيفتين بطريقة فنية وجمالية مثالية حسب رؤيته، فكانت المشربية التي مازالت حتى الأن أبرز مفردات العمارة المحلية التقليدية والاسلامية." **[2]**

فرضية البحث:

يفترض البحث وجود تطور كبير في توظيف العناصر المعمارية التقليدية في العمارة والتصميم الداخلي المعاصر، ويتم ذلك عن طريق تطوير تلك العناصر بالشكل والخامة واساليب الصناعة والاستخدام.

مشكلة البحث:

لقد تجاهلت العمارة الحديثة ذات الطابع العالمي الكثير من الاعتبارات الثقافية والأنماط المعمارية المعبرة عن الهوية المحلية، حيث ظهرت مباني تحمل عناصر جديدة ومبتكرة ولكنها لا تمت للبيئة المحلية ولا للهوية التراثية بأي صلة، وذلك نتيجة النقل الاعمى للطرز الحديثة، ما ادى الى الافراط في استخدام الخرسانة والزجاج حيث زادت الحاجة إلى التكييف وبالتالي زيادة استهلاك الطاقة.

وتتوضح مشكلة البحث بالسؤال التالي: كيف تطور استخدام المشربية كمفهوم وظيفي وجمالي في تصميم العمارة والعمارة الداخلية المعاصرة باستخدام التقانات والمواد الحديثة؟

أهمية البحث وأهدافه:

1- التأكيد على أهمية أحد أبرز عناصر العمارة التقليدية، ألا وهو المشربية كمنتج حرفي اصيل ذو صلة وثيقة بالتراث العمراني، وذلك من خلال التعريف بالمشربية ووصفها تاريخياً، وتحديد دورها ووظائفها في بيئتنا العربية ذات المناخ الحار.

2- توصيف واقعها الحالي، وأنماط تحديث مفهومها التصميمي، أولاً من الناحية التشكيلية من خلال إدخال المواد والتقنيات الحديثة في إنتاجها، وثانياً عبر استلهام مفهومها الوظيفي وإدخاله في تصميم المباني المعاصرة.

3- ابراز دور التصاميم الحديثة في الحفاظ على الهوية البصرية وإيجاد عمارة محلية تواكب روح العصر، وتحافظ على الموروث الحضاري.

طرائق البحث ومواده:

ينهج البحث لتحقيق أهدافه المنهج التاريخي، حيث يبدأ بمدخل تاريخي للتعريف ببدايات ظهور المشربية واستخدامها، وصولاً لآفاق تطورها وتوظيفها حديثاً في العمارة المعاصرة، وذلك من خلال الدراسة النظرية لأساليب العمارة التقليدية والحرف اليدوية التي تدخل في صنع المشربية كالخشب المحفور والمخروط، أو الحديد المشغول وغيرها..

والمنهج الوصفي التحليلي في توصيف المشربيات التقليدية سواء كمضمون ووظيفة أو كشكل وخصائص بصرية، مع تقديم دراسة وتحليل لبعض النماذج المعمارية الحديثة، التي أُدخِلت الحرفة التراثية إليها بما يتلاءم مع التطورات في الوقت الحالي، وينتهي البحث ببعض النتائج والتوصيات لتطوير هذه الحرف شكلاً ومضمونا والحفاظ عليها.

حدود البحث:

يمكن تعيين حدود زمانية للبحث تتمثل ببداية ظهور المشربية في حوالي القرن الثاني عشر ميلادي حتى الأن، وحدود مكانية تتمثل بدراسة تطور عنصر المشربية وأشكالها الحديثة في واجهات المباني المعاصرة في منطقتنا العربية الغنية بالإرث الثقافي والحضاري بشكل خاص.

المدخل إلى البحث ومناقشته:

1) المشربية تقليدياً:

1-1 بدايات المشربية: إنّ البلاد العربية من المغرب إلى مصر مروراً بالعراق وشبه الجزيرة العربية، جميعها ذات طابع مناخي واحد، يتّسم بالحرارة العالية جداً والجفاف الشديد، في ظل هذه الظروف المناخية الصعبة، كان لا بدّ للإنسان أن يطور طريقته بالبناء بحيث يوفر أفضل الظروف المعيشية داخل الفراغات المعمارية بمعزل عن أجواء الصحراء الحارة، فقد طورت العمارة الصحراوية التقليدية حلولاً إبداعية تعاملت مع مختلف العوامل البيئية، وقدمت أنماطاً وعناصر معمارية أغنت الحياة الاجتماعية إلى جانب فعاليتها الوظيفية، حيث استُخدِمت الجدران السميكة المصنوعة غالباً من الطين في البناء، وفيها فتحات أشبه بالثقوب الصغيرة للتهوية، لكن هذا النظام لم يكن متكاملاً بما يكفي، حيث إنّ الفتحات الصغيرة لم تكن تكفي لإنارة الغرف، فنتج عن ذلك فراغات معماريّة معتمة، قليلة الصلة بالفراغ الحضري في الخارج أو حتى في البيوت المجاورة. **[3]**

لقد قدّمت المشربيّة الحل لهذه المشاكل، حيث إنها تدخل كميّات كبيرة من الضوء غير المباشر، وتمنع الإشعاع الشمسي المباشر من الدخول عبر فتحاتها، وبالتالي قدّمت المشربيّة إنارة ذات كفاءة عالية دون زيادة درجات الحرارة في الداخل، ونظراً لزيادة مساحة الفتحات في الجدار، فقد أسهمت المشربية بزيادة تدفّق الهواء بنسبة عالية، وبالتالي زيادة التهوية والتبريد للغرف وتكمن روعة هذا العنصر المعماري في تكامل وظيفته مع قيمته الاجتماعيّة والجماليّة، حيث أضافت المشربيات قيمة جمالية إلى الشارع الذي تطل عليه النوافذ، دون المساس بخصوصيّة الفراغات المعماريّة خلف هذه المشربيات. **[4]**

2-1 تاريخ صناعة المشربية: نظراً لطبيعة العمارة دائمة التقلب والتطوّر، يصعب تحديد الزمن الذي ظهرت فيه المشربية على وجه الدقّة، لكن ما يمكن تأكيده هو أنّ عمليات تطويرها وتحسين أدائها لم تتوقّف لمئات السنين، وقد أشارت الأدلة إلى أن أقدم ظهور للمشربية في شكلها الحالي يعود إلى القرن الثاني عشر ميلادي في بغداد في الفترة العباسية (750 – 1258) واستُخدِمت في القصور وعامة المباني على نطاق واسع، إلا أن أوج استخدامها كان في العصر العثماني (1517 – 1805) حين وصلت إلى أبهى صورها وانتشرت انتشارا شبه كامل في العراق والشام ومصر والجزيرة العربية وذلك لأن استخدامها أثبت فعاليّة كبيرة في الوصول إلى بيئة داخليّة مريحة وفعالة بالرغم من الظروف الخارجيّة شديدة الحرارة،**[5]** ومن العوامل أيضاً التي ساهمت في انتشارها هو تطور صناعة المشغولات الخشبية، وحرفة الخراطة اليدوية خاصةً في استخدام أخشاب الخرط الدقيقة، وأضاف النجارون العرب الطابع الإسلامي على هذه الحرفة، وظهرت أنماط وأشكال مختلفة من المشربيات، تبعاً لنوع الخشب المستخدم و اتقان حرفة تشكيل الخشب وتجميعه، إلّا أنها جميعاً تشترك في أصل واحد وطريقة عمل واحدة. **[6]**

3-1 أصل التسمية: بدأت المشربية تعرف بأسماء مختلفة بحسب اختلاف المناطق، ففي الحجاز أصبحت تعرف بالروشن أو روشان وهي تعريب لكلمة (روزن) الفارسية والتي تعني النافذة أو الشرفة، وفي العراق أطلق عليها اسم "شناشيل" وفي اليمن (في صنعاء خاصةً) سميت بالشبابيك التركية نظراً لانتشارها اثناء الحكم العثماني، وإن تسمية مشربية مشتقة من اللفظة العربية " مِشرَبَة " وتعني في الأصل " الغرفة العالية "، أو من الفعل "شرب" فكانت في الماضي عبارة عن حيّز بارز ذو فتحة (منخليه) توضع فيها جرار الماء الصغيرة لتبرد بفعل التبخر الناتج عن تحرك الهواء عبرها، ومن هنا عرفت المشربيّة بهذا الاسم، إذ إنّ آنية ماء الشرب توضع فيها لتبريدها، ولتبريد الهواء المار فوقها، وقيل ايضاً أن كلمة مشربية محرفة بالأصل من كلمة "مشرفية" لكونها عبارة عن نافذة صغيرة تشرف منها النساء بشكل واسع على جميع أطراف الشارع خاصةً في الشوارع الضيقة، وأيضاً على مدخل المنزل لمراقبته بشكل خاص، وهناك رأي ثالث يرى أنها سُميت بالمشربية لصناعتها من خشب يُعرف بالمشرب، وهو نوع من الخشب الجيد يتميز بصلابته وتحمله لحرارة الشمس والعوامل الجوية، ثم اتسع مدلول هذا المسمَّى ليشمل كل الأحجبة الخشبية المنفذة بطريقة الخرط والتي كانت تغشى بها النوافذ أو تفصل بين أجزاء المبنى المخصصة للرجال وتلك التي للنساء. **[7]**

4-1 وظائف المشربية: إن لاستخدام المشربية أبعاداً عميقة ونتائج هائلة، فهي تعتبر نقطة تحوّل مهمّة في مسيرة العمارة المحليّة، ولم يتوقف استخدامها في الفتحات المطلة على الشارع وحسب بل أيضا استُخدِمت في الفراغات المطلة على الفناء الداخلي لتعطي نوع من الخصوصية للغرف أيضاً، وبحسب تصنيف المعماري المصري "حسن فتحي" الذي يعرّف المشربية بأنها تقوم بعدة وظائف ألا وهي:

- ضبط درجات الحرارة، فهي تعمل على تلطيف الجو الحار صيفاً والاحتفاظ بدرجات الحرارة شتاءً.
- ضبط مرور الضوء، حيث يختار المصمم حجم القضبان والفراغات الفاصلة، ففي الواجهات الجنوبيّة يستخدم مشبك ذا مسافات فاصلة صغيرة، ويفضّل أن تكون قضبان المشربيّة التي تقع على مستوى الإنسان قريبة من بعضها البعض لتخفف من الابهار الناتج من أشعة الشمس.
- زيادة نسبة رطوبة الهواء، وضبط تدفقه.

- الاتصال بالفراغات الخارجية مع توفير الخصوصية، حيث تسمح بالرؤية باتجاه واحد (من الداخل إلى الخارج) وتمنعها في الاتجاه المعاكس **[3]**، ولكونها عنصر إنشائي يبرز عن البناء نحو الخارج، تعدّ المشربية حيزاً مشرفاً على الخارج حيث يبرز عن المبنى، فهي بذلك تشبه "الباي ويندو"[1] Bay Window المستخدمة في العمارة الإنكليزية.

5-1 هيكلية المشربية، وصناعتها تقليدياً: إنّ الوصف الدقيق للمشربيّة هو أنّها نافذة أو فتحة في الجدار تتكون من مساحات مصمتة وشبه مفرغة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء أساسية، الجزء السفلي المتمثل بالقاعدة، وجلسة المشربيات أو الدكة وهي الجزء الأوسط والمتمثل في النوافذ (التي توضع فيها جرر الماء أحياناً)، والجزء العلوي أو النهاية العلوية المتمثل في الشراعة، وتغطى المشربية بإطار مكون من تراكب مجموعة من القطع الخشبية الصغيرة اسطوانية الشكل (دائرية المقطع) على شكل سلاسل تفصل بينها مسافات محددة ومنتظمة بشكل هندسي زخرفي دقيق وبالغ التعقيد، نستنتج من الوصف السابق الدور الكبير للحرفيين في صناعة المشربيات، إذ أن مهمة الحرفيين لم تقتصر على تكوين مشربيات جميلة ومتقنة الصنع بل استطاعوا ان يتحكموا بالطبيعة الوظيفية للمشربية عن طريق تنويع سمات الإطار الخشبي الخارجي، وبما أن المناطق التي انتشرت فيها المشربيّات ذات طبيعة صحراوية، ولمّا كان الخشب قليل التواجد في هذه المناطق، أبدع الحرفيون في استخدام خشب ذو أحجام صغيرة وتركيبها مع بعضها البعض، وذلك بدل أن يتم نحت المشربيّة من قطعة خشبيّة واحدة كبيرة، حيث استخدم الحرفيون المخارط لتحويل كل قطعة من الخشب إلى الحجم والشكل المطلوبين، مبتدئين بسلسلة من القطع الخشبية التي يتراوح طولها من 10سم إلى 100سم وفقاً لمقياس وتفاصيل المشربية كاملةً، وكان يوجد العديد من أشكال الخرط كالمستطيل والبيضاوي والرأسي والأفقي حسب الحاجة. **[2]**

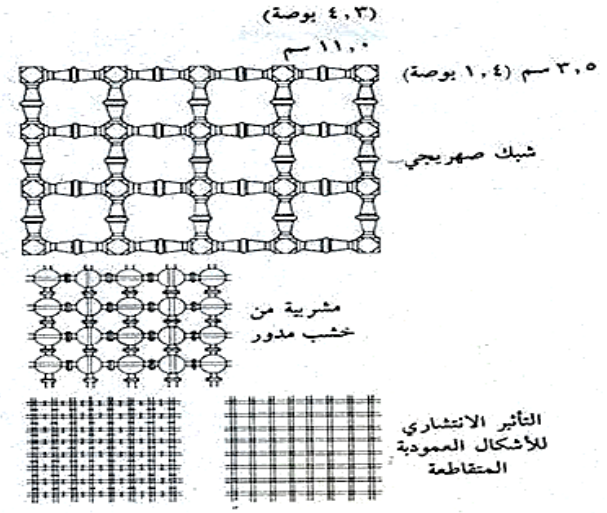

شكل (1) بعض تفاصيل المشربية، المصدر: نيفين بيومي/ جامعة حلوان

تتشكل القطع الخشبيّة (القضبان) لتكوّن سلسة من الأشكال الاسطوانية التي يتم الفصل بينها بشكل متكرر بقطع أكبر منها، اسطوانية أو مكعبة الشكل والتي تشكل نقاط الترابط بين القضبان الافقية، ويتم حفر تجويف داخل هذه النقاط ليتم تركيب القضبان من خلالها بدون استخدام لاصق أو مسامير (طريقة النقر واللسان) وتحتاج هذه العملية لدقة عالية من الحرفيّ خلال الإنشاء، بعد إتمام صنع شبكة من القضبان حسب المقاييس المطلوبة يتم تأطيرها لتجنب تفككها، حيث يعمل هذا الإطار على توزيع الأحمال (الرياح، الوزن) على الشبكة مما يدعم ثباتها، ويتم التحكم بالظروف الداخلية للفراغ المعماري من خلال التحكم بمسامية الشبكة وذلك من خلال تغيير أطوال وأقطار القضبان، ولكل مبنى خصوصيته في التعامل مع هذه النسب لكي تؤدي الوظيفة المطلوبة على أمثل وجه. **[4]**

[1] **وهي نافذة تشكل حيّزاً ضمن الغرفة يبرز عن البناء نحو الخارج، ويأخذ مسقطها في الغالب شكل شبه منحرف متساوي الساقين، كما يمكن أن تأخذ شكلاً منحنياً حيث تسمى في هذه الحالة Bow Window، ويعود استخدامها لعصر الباروك والعمارة القوطية.**

2) التطبيقات المعاصرة للمشربية:

" تتجه جميع الحلول المعمارية والتصميمية في الوقت الراهن لتحقيق مفهوم التكامل بين التراث والمعاصرة، ومحاولة انتقاء الحلول المعمارية التي حققت الراحة للإنسان قديماً وما زالت تصلح مع ظروف واقعنا المعاصر وما لدينا من تكنولوجيا، فقد حوّل المصممون عنصر المشربية الخشبية التقليدية إلى نظام للإضاءة الطبيعية يستجيب للتكنولوجيا العالية، حيث تغطي واجهات المبنى محققة استغلال مثالي للضوء وتوازن حراري فعال بين خارج المبنى وداخله". **[8]**

يعد جان نوفيل[2] Jean Nouvel أحد أبرز المعماريين الرائدين الذين تأثروا بالفلسفة الوظيفية والجمالية للمشربية واعتمدوها في تصاميمهم المعاصرة، فقد طبقها في مبنى المعهد العربي بباريس عام1987 حيث اعتمد في تصميم هذا المبنى على فكرة الحركة و التشكيل الضوئي، وذلك باستخدام فكرة فتحة عدسة الكاميرا والتي تم تركيبها بين طبقتين من الزجاج وربطها بكومبيوتر مركزي للتحكم بالضوء والحرارة داخل المبنى وسُميت بالمشربية الذكية، وكان هذا المبنى انطلاقةً لتصميم برج الدوحة ومتحف اللوفر في أبوظبي ذو القبة المضيئة المُجسّدة لفكرة المشربية ولكن بشكل أفقي، والتي وُجِدت للحماية من اشعة الشمس القاسية في الشرق الأوسط. **[9]**

أيضاً يُعد تصميم مبنى برج الدوحة لجان نوفيل أحد أفضل الأمثلة لاستخدام تقنية المشربيات أو النافذة الشرقية

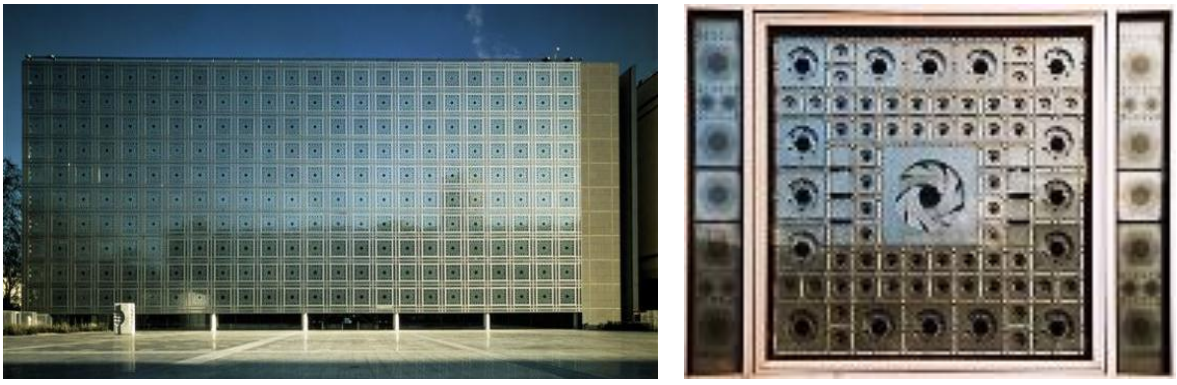

شكل (2) معهد العالم العربي Institut du monde arabe – باريس، المصدر: www.pinterest.com

شكل (3) تفاصيل واجهة برج الدوحة – قطر، المصدر: www.pinterest.com

التقليدية، لكن هذه المرة تم صناعة المشربيات من الخرسانة المسلحة والألمنيوم المكون من أربع طبقات، الأمر الذي لم

[2] معمار فرنسي ولد في فومال Fumel - فرنسا عام 1945، حاز على العديد من الجوائز أهمها: جائزة بريتزكر عام 2008، وجائزة الآغاخان للعمارة عن تصميمه لمتحف الفن العربي 1987، ومن أعماله أيضاً تصميم متحف اللوفر في أبو ظبي (2017).

يساهم في إعطاء شكل فريد من نوعه للمبنى وحسب، بل أيضاً جعل الأضواء الخارجية تتسلل بطريقة هندسية ومنتظمة إلى داخل غرف البرج، من خلال الواجهة الزجاجية عديمة اللون والزخارف الغنية المتعددة الطبقات.

وساهم استخدام تلك الواجهات في خفض تكاليف التبريد الميكانيكي، فقد شُيّدت بنظام (شبكة الإسناد المائل[3]Diagrid)، حيث تم إنشاء هياكل فولاذية ثلاثية مزودة بدعامات قطرية، وتستلزم هذه التقنية هيكلاً فولاذياً أقل مقارنة بالإطار الفولاذي التقليدي، مما يساهم في تخفيض التكاليف ويعود بالفائدة على البيئة. **[10]**

أما المهندس مايكل ويلفورد[4] Michael Wilford فقد نجح في اعتماده على التشكيل بالضوء عند تصميمه لمجمع مسارح The Esplanade على خليج سنغافورة والذي تمت تسميته نسبةً لموقع تشييده في منتزه إسبلاند، اذ استوحى ويلفورد شكل المبنى الخارجي من شكل الفاكهة الاستوائية "دورين Durian"، واستُخدمت خامة الألومنيوم في تشكيل الواجهة بشكل قابل للفتح والغلق اعتماداً على زاوية الضوء كي تكفل حماية الواجهات الزجاجية من أشعة الشمس. **[2]**

وتعتبر البيوت الأربعة في جدة، والتي صممها مكتب Dom arquitectura[5] من الأمثلة الهامة أيضاً لدمج العناصر التقليدية بأسلوب معاصر، حيث زُوّدت الشرفات بمجموعة درفات منزلقة ومتحركة تسمى sunscreen، تعد كطبقة ثانية تغلف وتحمي المبنى من أشعة الشمس، كما توزع الضوء بنسبة متفاوتة من خلال الثقوب العشوائية فيها والتي تكسر التناظر تماماً، وهذه الشرائح مستوحاة من الموزاييك والزخرفة الإسلامية التقليدية من ناحية الشكل، ومن المشربية كوظيفة، حيث نجد كثافة الثقوب في الأعلى وتقل تدريجياً نحو الأسفل مما يوفر مزيداً من الخصوصية لقاطني هذه البيوت. **[11]**

شكل (4) مجمع المسارح The Esplanade – سنغافورة، المصدر: www.arch2o.com

---

[3] تسمى أيضاً بالشبكة الوترية، وهي تقنية متطورة لإنشاء المباني الضخمة باستخدام الفولاذ، بحيث تغني عن استخدام الأعمدة الحمّالة ذات الأقطار الكبيرة وتوفر توزيع أفضل للأحمال، استُخدمت في العديد من الأبنية كبرج كابيتال جيت في أبو ظبي، وهيرست تاور في نيويورك.

[4] معمار وأستاذ جامعي بريطاني ولد عام 1938، حاز على جائزة ستيرلينغ، وقام بالتدريس في جامعة هارفرد ويال وغيرها.

[5]مكتب هندسي أسسه المهندس المعماري بابلو إلوردي Pablo Serrano Elorduy عام 2009 برشلونة-اسبانيا، الموقع الالكتروني: www.dom-arquitectura.com

شكل (5) واجهة البيوت الأربعة – جدة، السعودية 2013، تصميم المعماري بابلو إلوردي، المصدر:www.inhabitat.com

يصف حسن فتحي أهمية المشربية بصرياً بقوله: "للمشربية وظيفة جمالية في غاية الروعة، حيث أن خلف المشربية هناك الجدران وهناك السماء، وإن انعكاس الألوان من خلال المشربية ينتج زخرفة ضوئية مذهلة مما يزيد من أهميتها " وهذا ما نجده جلياً في تصميم فيلا راج Raj villa في إيران وهي من تصميم مكتب "آبان تاده" الهندسي[6] في عام 2017، وفي هذا المنزل قام المهندس بخلق "مشربية" برؤية حديثة للتغلب على أشعة الشمس القوية، وذلك باستخدام مادة القرميد، حيث طور عنصر المشربية من خلال المادة والتشكيل وجعلها تغلف واجهة المبنى بالكامل، وذلك بتبسيط شكل المشربية التقليدي واستخدام مادة القرميد التي تسمح بترطيب الهواء الداخل والمتغلغل عبر مسماتها، لتلعب في آن واحد دور المشربية ودور الجرار الفخارية التي كانت توضع فيها لزيادة الرطوبة. **[12]**

ومن الاشكال الجريئة والحديثة لإعادة استخدام وتصميم المشربية كمفهوم نجد مباني Nakâra Residential Hotel

شكل (6) فيلا راج– إيران 2017، من تصميم علي راهي وإيمان ميمار (Aban office)، المصدر: www.archdaily.com

[6]شركة هندسية تأسست في طهران عام 2006 من قبل المهندس والأستاذ الجامعي وحيد ميرزاي والمعماري علي راهي، الموقع الالكتروني: www.abanoffice.com

في فرنسا والتي قام بتصميمها Jacques Ferrier[7] حيث تجمع بين الفخامة البصرية والوظيفية، ويُركز المصمم على إعطاء السائح تجربة مميزة من خلال إحساسه بالمكان، فالمشروع يتماشى مع العمارة المتوسطية بوجود الجدران الكبيرة المخرمة والمصنوعة من خرسانة بيضاء بتقنيات تواكب تطورات العصر، وتعمل ككاسرات للضوء الذي يخترق ثقوبها مكوناً زخرفة ضوئية فريدة.

وتفصل هذه الجدران المخرمة بين الحدائق والتراسات والمسبح والشرفات لتعطي خصوصية أكبر لغرف النزلاء، مما يخلق واجهة مزدوجة للمبنى تؤمن فضاءً إضافياً في الوسط يتميز بأنه يخلق بيئة خارجية وسطية شبه مفتوحة وتتمتع أيضاً بخصوصية الفراغات الداخلية، فيعطي إحساساً مميزاً من خلال الوجود في الداخل والخارج في آن واحد، وتعطي هذه الجدران أو العرائش البيضاء الكبيرة عمقاً للواجهة وتأثير ضوئي مميز وحيوي، فأثناء النهار تتبدل جهة سقوط أشعة الشمس عليها وفي الليل تخترقها أضواء الإنارة الليلية مما يجعل المكان نابض بالحركة والتغيرات الجذابة. **[13]**

أيضاً هناك الكثير من المباني التي قام مصمموها بالاستفادة من فكرة ومفهوم المشربية وأدخلوها في العمارة المعاصرة،

شكل (7) NAKARA residential hotel فرنسا– 2015، المصدر: www.pinterest.com

[7] **معمار فرنسي ولد في ليمو Limoux عام 1959، أسسه مكتبه الخاص عام 1993 وحاز على وسام الاستحقاق الوطني الفرنسي، ووسام الفنون والآداب Ordre des Arts et des Lettres**

باستخدام مواد جديدة، تجلى ذلك باستخدام هياكل الشد[8](Tensile structure) لتغليف الواجهات وحمايتها من الحرارة، وذلك بتصميم هياكل معدنية تُثبَت عليها أنواع متعددة من الخامات المقاومة للعوامل الجوية (مثل الألياف الزجاجية أو البوليستر أو البولي إيثلين وغيرها) مما يضيف ناحية جمالية ووظيفية للواجهات –شكل (8)–، ويمكن أن تربط هذه الهياكل بمحركات تعتمد على التكنولوجيا الذكية، كوجود حساسات للضوء تتحكم في تحريك (فتح وإغلاق) هذه القطع النسيجية المشدودة، وذلك للمساهمة في حفظ الطاقة.

كما تم حديثاً صنع وتصميم لما يسميه الباحث (مشربيات عصرية) بواسطة الأخشاب الحديثة المعالجة، أو قصب البامبو وغيرها –شكل (9)–، حيث تدخل في إطار العمارة المتحركة التفاعلية والتي تعد أحد الحلول لتحقيق الاستدامة.

شكل (8) بعض تطبيقات هياكل الشد والتقنيات الذكية لتغليف الواجهات –تطبيق معاصر لمفهوم المشربية–

المصدر: www.pinterest.com

شكل (9) بعض التطبيقات المعاصرة لمفهوم المشربية باستخدام الأخشاب أو القصب وغيرها، المصدر: www.pinterest.com

[8] هياكل إنشائية معدنية تربط ببعضها لتتحمل قوى الشد والانحناء بكفاءة عالية، تستخدم في الأسقف والواجهات وخاصة الإنشاءات القشرية، بحيث تمتد لمسافات كبيرة بشكل جذاب، وقد شاع استخدامها بكثرة في أواخر القرن العشرين.

ولم يقتصر إدخال مفهوم المشربية التقليدية في العمارة المعاصرة على المعالجات الخارجية وواجهات البناء فحسب، بل أيضاً امتد ليشمل الفراغات الداخلية، حيث يقول المهندس ابراهيم محسن من شركة (فايا) المتخصصة في إنتاج المشربيات: " إن هذه القطع الفنية أصبحت متنوعة ومنتشرة بمساعدة التكنولوجيا وتعدد أنواع المواد الخشبية الخام التي تُصنع منها، أما المشربيات الداخلية والتي يمكن أن تستخدم في ردهات الفنادق، أو أسقف القصور والفلل، فإنها تضفي قيمة جمالية عالية وبات يدخل في صناعتها خامات كالبرونز والنحاس، وألواح الألياف الزجاجية، إلى جانب الألومنيوم والذي تتميز مشربياته بكونها قوية وسهلة الصيانة، وخفيفة الوزن. " **[14]**

وفي المغرب يوجد الكثير من المباني التي لا يزال مالكيها يصرون على استعمال المشربية، خاصة في بعض القصور والفنادق التقليدية لما للمشربية وزخارفها من ارتباط وثيق بحضارة هذا البلد، وقد أصبح مجال استعمال المشربية الداخلية في تزايد مستمر، ففي البيوت تستعمل كفاصل لقاعة كبرى لإعطاء نوع من الخصوصية لكل ركن، وفي المساجد

شكل (10) بعض الأمثلة عن المعالجات المعاصرة للمشربية في الفراغات الداخلية، المصدر: www.pinterest.com

تُستعمل كحاجز بين الجناح الخاص بالنساء والآخر المتعلق بالرجال.

تعد الأمثلة السابقة من أهم التجارب التي قامت بتوظيف المشربية في الأبنية الحديثة وفراغاتها الداخلية، إلا أنها تمثل نماذج تم فيها تحوير الشكل التقليدي وتبسيطه وفق تصميم جديد تماماً، بينما هنالك أمثلة أخرى حافظت على شكل المشربية كما هو تقليدياً بخامتها الخشبية، وقامت بتوظيفها في المباني الحديثة كأحد وسائل استلهام التراث والحفاظ عليه، فمبنى فندق سيرينا في إسلام أباد/ باكستان –شكل (11)– يعتبر خير مثال على ذلك، فقد اعتمد تصميمه على عنصر المشربية بشكلها التقليدي، وتم استخدامها في التصميم الخارجي والداخلي للمبنى، حيث أن جوهر تصميم جميع فنادق سلسة سيرينا العالمية يعتمد على استخدام المفردات المعمارية لتراث البلد الموجودة فيه وبالتالي التأكيد على الهوية الحضارية لكل بلد.

شكل (11) المشربيات التقليدية الداخلية والخارجية في فندق سيرينا- باكستان، المصدر: www.serenahotels.com

شكل (12) توظيف عنصر المشربية التقليدية كما هو في المباني الحديثة داخلياً وخارجياً، المصدر:www.pinterest.com

الاستنتاجات والتوصيات:

نلاحظ من الأمثلة السابقة وجود نوعين من الطرق في استلهام التراث وتوظيف عناصره في العمارة المعاصرة:

النوع الأول يتمثل بإعادة صناعة عنصر المشربية باستخدام مواد جديدة وبأسلوب جديد مطوّر مع الاحتفاظ بوظيفتها، حيث نجد هنا أن لوظيفة المشربية الأولوية في التصميم، فقد سعى المصممون لإيجاد عنصر يمنح مشاريعهم طابع مميز وذلك من خلال استلهام جمالية الزخرفة الضوئية البصرية التي توفرها المشربية ولكن باستخدام مواد وتقنيات وأشكال حديثة مطوّرة، مع الحفاظ على وظيفة المشربية في خلق بيئة داخلية لها خصوصيتها وذات جو لطيف ومناسب.

أما النوع الثاني هو صياغة العنصر وتطويره من خلال المحافظة على مادته التقليدية وطابعه البصري كما هو، فهنا تكون الأولوية لشكل المشربية التقليدي وخامتها الخشبية، ويتم توظيفها في الفراغات المعاصرة من خلال تجديد تقنية صنعها واستخدام المواد والخامات الحديثة، حيث يتم إدخالها في التصميم كعنصر يعطي المبنى طابعاً تقليدياً وذلك بغية المحافظة على الهوية البصرية التقليدية للمكان.

إن للنوعين السابقين دور في موضوع الحفاظ على الطابع التراثي، ولكن من منظورين مختلفين، فالنوع الثاني يتضمن إعادة انتاج العناصر التراثية والحرفية بطريقة النقل والتقليد دون الغوص في تفاصيل الفكرة التصميمة والمفاهيمية للعنصر، وبرغم ما يحمله من تكرار ونقل حَرفي للعنصر أحياناً، إلا أنه لا يمكننا إغفال القيمة الجمالية التي يحملها

المنتج، والمُستَمدة من مهارة الحرفي وخبرته وإتقانه لعمله، والاهتمام بمثل هذه المنتوجات الحرفية يؤمن سوق عمل للحرفيين وتطويراً لليد العاملة وبالتالي الحفاظ على هذا القطاع المهني وحمايته من الاندثار، إلا أن فكرة الحفاظ على الطابع التقليدي والإرث الحضاري لا تتوقف عند ذلك – أي تطوير النوع الثاني –، وإنما هي أكثر اتساعاً وتعقيداً خاصةً في ظل الابتكارات العلمية والتقنية ودخول المواد الحديثة في ميادين العمارة والبناء، حيث يتزايد الاتجاه اليوم نحو إيجاد مباني ذات تصاميم مبتكرة تعتمد على مبدأ التبسيط والتجريد في استلهام التراث وإعادة صياغته بما يحقق الحفاظ على الهوية البصرية التقليدية، وهو ما نجده في النوع الأول.

لذا فإن الأسلوب الأمثل في التعامل مع التراث وتوظيفه في العمارة المعاصرة يبدأ في فهم وتحليل التراث، ثم نقده لاستخلاص الإيجابيات منه واستيعاب المفردات والخصائص التي يحتويها والعمل على تطويرها بأسلوب مبتكر بعيداً عن التكرار والنسخ لإنقاذ هويتنا التراثية الثقافية من الضياع والتلاشي، وذلك من خلال زج كليات العمارة والفنون الجميلة في هذا الميدان بتعاون مشترك جنباً إلى جنب مع الحرفيين المهرة، لإحداث النقلة النوعية في تطوير التراث والحرف التقليدية بشكل يتلاءم مع روح العصر ومتطلبات الزمان والمكان مما يتيح للجميع التمتع بمباني ذات هوية وطابع تراثي مميز منسجمة مع الواقع الجغرافي والمناخي والحضاري للبلد، وفيها روح التجديد والابتكار والمعاصرة في نفس الوقت.

References:

[1] ATIAH, A.KH. *The development of traditional handicrafts and heritage markets as an entry point to enhance cultural tourism*. Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies Syria, Vol.1, N°5, 2013, 9-29.

[2] BAYOUMI, N. *Contemporary applications of Mashrabiya as a cultural heritage*. Architecture, Arts and Humanities Journal Cairo, Vol.1, N°1, 2016, 349−362.

[3] FATHY, H. *Natural Energy and Vernacular Architecture: Principles and Examples with Reference to Hot Arid Climates.* University of Chicago Press U.S.A, 1986, 196.

[4] ALMUSAED, A. *Biophilic and Bioclimatic Architecture: Analytical Therapy for the Next Generation of Passive Sustainable Architecture*, Springer Science & Business Media New York, 2010, 241-42.

[5] ABDULLAH, T. *Merchants, Mamluks, and Murder: The Political Economy of Trade in Eighteenth-Century Basra*. Suny Press New York, 2001.

[6] MOHAMED, J. *The traditional arts and crafts of turnery or mashrabiya*. Rutgers The State University of New Jersey, U.S.A, 2015, 1-31.

[7] AZZOPARDI, J. *A Survey of the Maltese Muxrabijiet*, vigilo den l'art helwa Malta, N°. 41, 2012, 26–33.

[8] SAYDAM, M. *Reviving traditional architectural values in contemporary local architecture Case study: Gaza City*. Islamic University, Palestine, 2013, 288.

[9] SCHIELKE, T. *Light Matters: Mashrabiyas - Translating Tradition into Dynamic Facades*. 2014, 28 Oct 2018. <https://www.archdaily.com/510226/light-matters-mashrabiyas-translating-tradition-into-dynamic-facades/>

[10] SMITH, P. F. *Architecture in a Climate of Change: A guide to sustainable design*. Architectural Press, Oxford, 2001, 213.

[11] ALANGARI, G. *4 houses in Jeddah - The Mosaic Filter*، 2015, 6 Sep. 2019. <http://designsible.blogspot.com/2014/01/4-houses-in-jeddah-done-dom-arquitectura.html>

[12] ETTEFAGH, M. H. *Villa RAJ- CSD office*. 2017, 10 Apr. 2018. <https://www.archdaily.com/882134/raj-villa-csd-office/>

[13] CASTRO, F. *Nakâra Residential Hotel - Jacques Ferrier Architecture*, 2015, 5 Sep. 2018. <http://www.interiordesignblogs.eu/nakara-residential-hotel-jacques-ferrier-architectures/>

[14] ALTOUNSI, L. *Mashrabiya is an architectural masterpiece that embraces modernity.* Al-Etihad newspaper U.A.E. 2014, 20 Apr. 2018. <https://www.alittihad.ae/article/116012/2014>